



محمد مبارك بين الفلسفة والنقد الأدبي

عقل موسوعي يربط الظواهر العلمية والفكرية



نجاح هادي كبة

بغداد

ولد محمد مهدي آل مبارك في الحلة محلة الجامعين سنة 1936م في زقاق صغير كان يعرف (عكد بيت مبارك) نشأ فيها ودخل الكتاتيب ثم انتظم بالمدراس الرسمية ولتفوقه حصل على زمالة دراسية في مصر فحصل على شهادة الليسانس في الأدب الإنكليزي في كلية العلوم والفنون في جامعة القاهرة سنة 1959م.

أصدر العديد من الدراسات الأدبية والنقدية (تربو على خمسة عشر كتاباً) يقول عنه طالب مهدي العقابي: «صعدت من الدراسات الأدبية القديمة والحديثة والحدثة في ثورة 14 تموز 1958م، ومنذ ذلك التاريخ

يقرأ الملقون والباحثون ما يكتبه مبارك في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، ويتميز مبارك بثقافة رصينة استوعب فيها الثقافة العربية القديمة والحديثة وبذل جهداً في الوصول إلى الرموز الخفية المشعة مضافاً إليها تمكنه في اللغة الإنكليزية

وإدائها (عوض، 2010م، ج 1 ص: 224). من مؤلفاته:

1. الكندي فيلسوف العقل، كتاب الجماهير، العدد السادس، 1966م.
2. موافق في اللغة والأدب والفكر، دار بيروت، 1974م- نُشر دار الفارابي بيروت ومكتبة النهضة- بغداد.
3. دراسات نقدية في النظرية والتطبيقي، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة (95)
4. نظرات في الفكر العربي- الإسلامي الوسيط 1986م.
5. الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2004م، ط 1.

6. مقاربات في العقل والثقافة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2004م.
7. مقالات في الفلسفة العربية الإسلامية، وزارة الثقافة، العراق، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية 2013م، ط 1.
8. ولحمذ مبارك مسرحيات مثل: الإنسان والقضية، الشاعر والصلوك، الاختيار الصعب.

9. مقاربات في العقل والثقافة، بغداد، 2004م.
10. مقالات في الفلسفة العربية الإسلامية، وزارة الثقافة، بغداد، عاصمة الثقافة العربية 2013م، ط 1.
11. ولحمذ مبارك مسرحيات مثل: الإنسان والقضية، الشاعر والصلوك، الاختيار الصعب.



محمد مبارك

الذي يرد فيه- أي الأمة والشعب الذي ينطق بهذا اللسان، وهو بهذه الخصائص يكتسب بعده الإنساني ويظل من خلاله... أي من خلال هذه الخصائص على الأمم والشعوب الأخرى فيقفها على موجود هذا اللسان ما يضطرب به واقعه التاريخي من قضايا إنسانيته وإشكالات تطوره المادي وضرورته التاريخية فيكون بذلك رسالة صدق وسفير للحقيقة/ص: 33.

3. إيمانه بالمدرسة النقدية والسيكولوجية فهو يرى أن الشعر والنثر منبعا للنفس الإنسانية وهذا ما أكده علم النفس الحديث، قال: ولقد ذهب علم النفس الحديث، عقب انفصاله عن الفلسفة إلى تأكيد هذه العلاقة وافردها للشعرية أيوابا خاصة في مباحته، وجاء العديد من علمائه بفروض بل نظريات كاملة في فهم هذه الظاهرة، وتكوين أفكارها واحتج لذلك بأن علم النفس لا يقتصر في درسته ظاهرة السلوك البشري على طرف دون آخر، وإنما الإنسان في مختلف نشاطاته الروحية والحسية وجميع مظاهر كينونته وحالاتها وأوضاعها الوجدانية والذهنية هم ميدانه ومجال بحثه/ص: 56. ولابد من الإشارة إلى أن علم النفس السلوكي والمعرفي يهتم بالموضوعات التي تتعلق بالشعر مثل: الخيال، العواطف، الذاكرة، الإبداع أسبابه ومسبباته، البيئة الخاصة والعامه، الانتباه وغيرها.

4. ربط الفلسفة بالنقد -كما أشير سابقاً- فهو يؤكد أنه: وجدنا أفضل قراء الأدب الفلاسفة أو النقاد العرب أن الشعر ليس هو الإيقاع- أقدر على قراءة النصوص الإبداعية تشكيلات أسطورية- سردية- لمحمية قادرة على استيعاب روح الشعب والأمة بكل ما تطوّر عنه هذه الروح من... تصورات ذلك ببراعة وموضوعية لا تبلغها ولم تخلجها غير الملاحم الكبرى لشعوب و أمم الحضارات القديمة (مبارك، 2004م، ص: 198).

بقول فاضل ثامر: كان محمد مبارك شاعراً من جيل أي من جيل الستينيات لكنه كان مختلفاً عنّا جميعاً في أشياء كثيرة وينفرد عنه في انهماكه المتميز بالفلسفي والاجتماعي والأيديولوجي (ثامر، 2007م، ص: 9).

لأن محمد مبارك يرى أن العقل هو ماهية الوجود وكينونة المجتمع لكنه في ممارساته النقدية يعطي أهمية للشعر والمضمون بأسلوب تحليلي تحليلي وإلقاء نظرة على مؤلفاته النقدية يتضح أسلوبه النقدي المنطقي.

قراءة في كتبه الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة:

صدر الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العظامه بغداد العام 451م ب 2004 (أربعمئة وإحدى) وخمسين صفحة من القطع المتوسط، قال في مقدمة الكتاب: إن النقد بما يسير ويكشف ويجترح- عبر تعاملاته الفعلية مع النصوص الإبداعية، قد يضيف إلى المعطيات العقل الكلي لهذه الجماعة بالياته المعهودة ومناهجه وأساليبه المعتادة... فختري بذلك الفكر العام ويوسع من أبعاد الوعي الكلي/ص: كومن الملاحظ أن الناقد محمد مبارك في الوعي الشعري يركز في كينونات وماهيات معينة في النقد الأدبي، منها:

1. ربط التطور الأدبي والنقدي بالأيديولوجيا وحركة المجتمع التطورية المادية والروحية كقوله: أن ظهور قوى أو فئات اجتماعية جديدة في خارطة المجتمعات العربية وتركيباتها التطبيقية... وتطور مواقف القوى والفئات الاجتماعية التقليدية أو بعض مراتبها، كان مدعاة لتبدل وتطور في الرؤية الشعرية العربية حتى بالنسبة للبرجوازية الإقطاع- كومبراندورية وهي أكثر القوى تشبهاً بالتقدم وحرصاً على تجاوز الأوضاع السائدة/ص: 11.
2. ربط التطور الأدبي والنقدي بالهوية القومية، قال: ولا أدب وهو يحمل كامل خصائص اللسان

بالفعل من قيمة وافر تشكيل هذه الحركة، ريادة تجرية وتكريس معطيات وتفاصيل مسيرة، فمعيار السسبق الزمني إن لا يصلح...وحد...أساساً في تاشير الريادة وتكوين دور حالاتها/ص: 202.

9.تناول محمد مبارك في كتابه الوعي الشعري مجموعة شعراء ومبدعين عراقيين بالنقد والتحليل لشعرهم ومقارنة بعضهم ببعض أحياناً كالجواهري والبياتي والسياب وسعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر وعلي الحلي ويوسف الصائغ ومحمد سعيد الصكار ومظفر النواب وسعيد عقل ومن كتاب القصة عبد الملك ثوري.

قال عن الجواهري: أود أن أشير إلى ناحيتين في حياة الجواهري الشعرية الأولى هي طول النفس الشعري حيث تمتد القصيدة لديه إلى عشرات بل المئات، وربما أربت القصيدة الجواهري على أربعمئة بيت- القصيدة- يانديمي، أما الثانية فهي شدة احتفاء الشاعر بشعره وكثرة عودته إليه معدلاً أو مبدلاً...حادثاً أو مضافاً/ص 168.

قال عن البياتي: لعّل البياتي هو الأسبق من كل رواد حركة الشعر الحديث في العراق، بل من بين جميع شعراء جيله من العرب على امتداد الوطن الممتد بين المحيط والمحيط إلى إحلال المتعة الإنسانية محل المتعة الحسية بما تنوء به هذه الأخيرة من لعنة انانية الحواس/ص 169.

الملاحظ أن الناقد محمد مبارك في كتابه الوعي الشعري جعل الشاعر عبد الوهاب البياتي في قمة الهرم الشعري من بين الشعراء الذين تناولهم بالنقد.

2. مقالات في الفلسفة العربية الإسلامية- نشوار القراءة الفلسفية:

الكتاب صدر بمناسبة مشروع بغداد عاصمة للثقافة العربية العام م بعد رحيل مبارك في صر 2010 عن وزارة الثقافة-العراق- بغداد، جاء في مقدمة الكتاب التي كتبها د. يوسف إسكندر- بغداد 2008م: يشكل هذا الكتاب جزءاً من ثلاثة أجزاء كتبها الزاحل محمد مبارك...الأجزاء الثلاثة مجموعة تحت عنوان (نشوار القراءة الفلسفية) أرتات لجنة النشر في دار الشؤون الثقافية بشرى الجزء الثاني منها لتعلق بمسائل مهمة في تاريخ الفلسفة الإسلامية، وقد عنوانه الراحل بعنوان فرعي: (في الفلسفة الإسلامية) وفضلنا من جهتنا إنبات هذا العنوان الفرعي عنواناً رئيساً بإضافة كلمة نقلا، لأنها الأكثر تعبيراً عن طابع كتابته الراحل في هذا الكتاب/ص: 5.

يقع الكتاب في (120) مئة وعشرين صفحة من القطع المتوسط مع المقدمات والفهرست واحتوى على توطئة فيها تنويه عن أهمية التراث العربي والفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن خلدون ومما جاء في التوطئة: ومهما يكن...فإنه لابد من تضاريف جهود المنعيبين بالفكر العربي الإسلامي الوسيط للتوافر على جملة ما انتهى إليه هذا الفكر عبر أساطينه من آراء وتفاصيل ومقاربات ذهنية عامة، حاول بها حل إشكالية وجوده الخاص أو لتفسير العديد من ظواهر الطبيعة والاجتماع والإنسان/ص: 7.

احتوى الكتاب على (15) خمسة عشر عنواناً منها:

- 1- العرب المسلمون وطرائق البحث.
- 2- الترجمة والنوع.
3. مباحث الطبيعة عند الكندي، مفهوم العقل بين الفارابي وعمانوثيل كانت، النظرية النبوية والرواية الفلسفية لأبي بكر بن طفيل، ابن رشد...إتداد مبدع... وغيرها.
4. العرب المسلمون وطرائق البحث يؤكد مبارك أن الفكر (2) و (1) الفلسفي القروسطي قد أنتج مفهوم طرائق البحث وأكد العقل هذا قدرة هذا الفكر وانه لم

أهمية العقل العربي في الفلسفة والعلم وقوة كشوفاته بما بنم عن إمكانه مبارك بالفلسفة وأطاعه على الفلسفة العربية الإسلامية والفلسفة اليونانية والحديثة ومقدّرته على المقارنة بينها وبين أن العرب والمسلمين ليس كما قال رينان المتعصب على العرب بأنهم لا يصلون إلى مستوى التركيب في الفكر والعلم وأنهم مقدّمون لليونان وفلاسفتهم. يؤكد محمد مبارك المنهج الحثي الذي سار عليه في كتابه (مقالات في الفلسفة العربية الإسلامية) من أن العرب لم يكونوا عائلة على غيرهم من الأمم في الفكر والعلم بل كان لهم باع فلسفي وعملي يستند إلى العقل ومن ذلك أيضاً ما طرحه محمد مبارك في موضوع (الرواية الفلسفية لابن طفيل) فقال: يستطيع الدارس من خلال قراءته هذه الرواية أن يتلمس أبعاد عقلانية ابن طفيل ونزعتة الاستقرائية التجريبية في النظر، حتى أنه ما يكاد يقرّ فهمًا أو يدلي برأي أو يتقدم بفرض في أية ظاهرة أو إشكالية ذهنية إلا من خلال الملاحظة الملموسة والفحص الموضوعي الدقيق والمحكمة الفعلية شأنه في ذلك شأن جابر بن حيان فحي بن يقظان بطل الرواية ومدار البحث في ذلك شأن جابر بن حيان حتى أن محمد مبارك صاحب عقل موسوعي ألم بكثير من علم ومعرفة كالأدب والنقد الأدبي والتاريخ والسياسة والاجتماع والفلسفة القديمة والحديثة وعلم النفس.

2. كانت أبحاثه في أكثر ما كتبه تربط بين الظواهر العلمية والفكرية والأدبية والعوامل التحشيتية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فهو يؤمن بالتطور ومبدأ رط الظواهر بأسبابها ومسبباتها.

3. وظف الفلسفة في دراساته النقدية ما أعطى للنقد الأدبي عنده شمولية وعمومية غير استثنائية.
4. كان له قدرة على الإبداع الأدبي بما كتب من مسرحيات أدى فهم التاريخ فيها دوراً كبيراً لديه.
5. كانت المواقع الوظيفية التي حصل عليها هو أكبر منها كرئيس لفرع المسرح أو محرر في جريدة الزمان في الأردن قبل التغيير (2003م) أو تسنحه تحرير مجلة الأعلام بعد التغيير (2003م)، أو عمله في الإذاعة والتلفزيون.
6. دافع عن التحديث والفكر التقدمي إلى جانب دفاعه عن هويته القومية في كتاباته بوصفه عربياً ومسلماً.
7. ترق آثاره من الكتب فيها معلومات موثقة ودقيقة وعلمية تدل على سعة اطلاع وإفادته من موسوعيته في تترك مراحل العلم مهتماً بالفلسفة، فنشر في جريدة الزمان موضوعات فلسفية مهمة، طبعت في كتاب -كما المعلن- بعد رحيله.
8. بوصف بأنه صاحب مبدأ لا يهادن ويقول ما يؤمن به توفي رحمه الله في شهر تموز 2007. وكان الوضع الأمثي حينها لا يساعد على معالجته.

المصادر - ثامر، فاضل (2007م)، اتحاد الأدباء، في العراق يؤين الفقيه، إجماع على سعة ثقافة مبارك، جريدة الزمان، الملف الخاص بالفقيه محمد مبارك، ع: 2793س 10 الاثنين 10 من أيلول.

- حسن، رزاق إبراهيم (2007م)، محمد مبارك بين الفلسفة والنقد الأدبي، جريدة الزمان، الملف الخاص بالفقيه محمد مبارك، ع: 2793س: 10 الاثنين 10 من أيلول.

عوض، عبد الرضا (2010م)، أدباء، وكتاب بابل المعاصرون، ج 1 ط دار الفرات للطباعة والنشر.

- مبارك، محمد، (2004م) الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 1.

(م، مقالات في الفلسفة 2014م بنفسه -) العربية الإسلامية، نشوار القراءة الفلسفية، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة -العراق- بغداد، ط 2012 م.

عوض، عبد الرضا (2010م)، أدباء، وكتاب بابل المعاصرون، ج 1 ط دار الفرات للطباعة والنشر.

- مبارك، محمد، (2004م) الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 1.

(م، مقالات في الفلسفة 2014م بنفسه -) العربية الإسلامية، نشوار القراءة الفلسفية، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة -العراق- بغداد، ط 2012 م.